EveryScreen.com

Book Series - Book No. III

....

'Net's First Ever Opinion Site in Arabic!

(Established in July 18, 1998)

About 2 million words of original and daring views

....

Dubbed by *Alexa* as the

'**Most Popular in Personal Multi-Issues Pages**'

in any Language on the Web

....

مدحت محفوظ

اللمبى

... ولماذا زلزل عروش المؤسسة الثقافية ؟

Medhat Mahfouz

Al-Lemby

...Why It Trembled the Cultural Establishment!

► ***EveryScreen.com*** Book Series - Book No. III
► Original entry: http://everyscreen.com/views/popart.htm#EgyptianMovies2002
Date: Wednesday, August 7, 2002.

► This file: http://everyscreen.com/views/pdf/EveryScreen.com_PopArt_AlLemby.pdf
Created: Friday, February 24, 2006.
This version's date: Monday, April 19, 2010.

► © 2002 - 2010 Medhat Mahfouz. All Rights Reserved.
► Reproduction, full or partial, in any form, printed or electronic, recent or future, is strictly forbidden without a thorough written permission from the author.
► Production of electronic edition: Author's Office (*MSoft*)

For Best Printing Results:

I) ***Print on both sides***:

Step 1: Select even range of pages, e.g. 1 to 50, or the whole document (which we adjusted to end with even page number).

Step 2: Print 'Odd pages only.'

Step 3: Flip paper stack and print (for the same range, of course) 'Even pages only' with 'Reverse pages' option ticked.

II) Some PDF advanced printing options for older versions of Adobe Acrobat Reader:

'Print as image' may help avoiding some rare Arabic printing glitches, such as deflected display of the cashidas.

◄ ٧ أغسطس ٢٠٠٢ :

اكتملت اليوم صورة أفلام العام المصرية الكبيرة ، بعرض آخر ما تبقى من طابور أفلام الصيف الضخمة . غضب المثقفين صانعى أهم هذه الأفلام مما نحن فيه من تخلف ، هو الكلمة التى تلخص هذه الأفلام .

Succeeded in What Crusades Failed: Conquering Jerusalem, Now a Public Hero of Egyptian Cinema!

نصف الدقيقة الأولى من فيلم ' اللمبى ' يساوى مائة فيلم مصرى كاملة ، أو لعله أعلى نقطة إطلاقا فى كل تاريخ الثقافة الناطقة بالعربية . البطل البلطجى السكير المعدم العاطل يترنح ليلا فى الشارع ويحاول تذكر كلمات أغنية ما . تخيل أية أغنية ؟ ' وقف الخلق ' ، وهو يقف عند هاتين الكلمتين ، ويتركنا نتخيل أمجاد مصر التى تحدثنا عنها بقية الأغنية ، بينما هو نفسه لا يستطيع الوقوف على ساقية كما بقية ' الخلق ' أى البشرية ، التى تحاول الأغنية إفهامنا أنها متيمة انبهارا بعظمة مصر . هذا ليس مستغربا بالمرة على المؤلف أحمد عبد الله ، بل وشخصية اللمبى نفسها مستقاة من فيلم ' الناظر صلاح الدين ' (بذات الطريقة التى استقى بها فيلم الملك العقرب من أفلام المومياء !) . التناقض المحورى هنا كما فى ' صلاح الدين ' ، الهوة بين الكلام والواقع .

هنا الأمور أوضح ، ليس من نصف الدقيقة الأولى بل من كل الفيلم . أسماء الشخصيات الثلاث الرئيسة هى إحالات أجنبية . اللمبى اسم يشير للفيسكاونت الأول إدموند هنرى أللينبى (هل تخيل هذا الفيلد مارشال الإنجليزى يوما أن اسمه سوف يصبح بعد قرن من الزمان عنوانا لأنجح فيلم مصرى فى التاريخ !) ، هو القائد العسكرى الذى حقق ما فشلت فيه الحروب الصليبية وهو فتح القدس ، وهو صاحب كل الفتوحات البريطانية العظمى فى الشرق

الأوسط فى عشريات القرن العشرين ، بما فيها دحر الإمپراطورية العثمانية ، وهو المندوب السامى البريطانى الذى عين خصيصا للقضاء على هوجة الدهماء فى مصر المسماة ثورة ١٩١٩ (هل تعتقد للحظة أن أحمد عبد الله الذى استعرض عضلاته فى سرد كل التاريخ المصرى فى ' الناظر ' وبمنظور فلسفى خاص كتاريخ قهر وتخلف ، قد اختار اسم اللمبى فى سياق ذلك الفيلم عبثا ؟) . حسب الشخصية وكلمات الأغانى ، اللمبى أو أللينبى كلاهما رمز للقوة والجرأة والاقتحام أيا ما كانت الصعوبة . الأدهى أنك لو سألت صناع اللمبى لماذا اختاروا هذا الاسم بالتحديد رمزا لكل هذه الصفات الفذة ، على الأرجح ستكون إجابتهم نحن لم نختر شيئا ، الشعب المصرى هو الذى اختار . نعم ، الشعب المصرى المحب كأى شعب فى الدنيا للمستعمر المتقدم ، يسمى أبطاله بأسماء تعظيم مثل ناپوليون واللمبى ، ويسمى الثورات ضد هذا المستعمر بأسماء تحقير مثل هوجة عرابى وهوجة سعد !

ربما كل تاريخ السينما المصرية لا يقوى على منافسة نصف الدقيقة الأول من فيلم اللمبى ، لكن هذه النكتة التى سمعتها من أحد الأصدقاء من مدينة العريش تستطيع :

نزل سائح من مطار وركب تاكسيا . انطلق التاكسى بسرعة هائلة فى طريق صلاح سالم . انزعج السائح وراح يستجدى السائق التهدئة ، رد السائق بثقة كبيرة مشيرا لنفسه لا تخف هذا Egyptian driver . بدأ الطريق يزدحم والسائق مصمم على مراوغة الجميع والانطلاق بأقصى سرعة . يزداد ذعر السائح لكن الأول يطمئنه من جديد مشيرا لنفسه لا تخف هذا Egyptian driver . اقتربت إشارة حمراء والسيارة مندفعة تخترقها والسائح يرتعد بشدة والسائق يشير من جديد لنفسه لا تخف هذا Egyptian driver . الإشارة التالية كانت خضراء ، وبهدوء أوقف السائق التاكسى . السائح يشير للضوء الأخضر ، ويسأله ما المشكلة ، تحرك ، إنها خضراء . يشير السائق للطريق العرضى ويقول Maybe another Egyptian driver is coming !

Allenby, France and Bach:
All the Western Civilization Is Here. Finally Nousa Will Revolt the Bars!

نعم ، وقف الخلق ، فهى ' مصر العظيمة ، مصر الهزيمة ' (عبارتنا المعهودة التى يبدو أنها وجدت أخيرا معادلا بصريا سينمائيا ما لها !) ، ' مصر أم الدنيا ، أم كل كوارث الدنيا ' ، أم كل أخطاء الدنيا ، بحيث ممارسة أى صواب فيها هو عين الخطأ . من هنا ، طبيعى للغاية أن يكون اسم أم اللمبى فرنسا . امرأة متوسطة العمر تجمع ما بين بقايا الجمال الحاسر والدلال وخفة الظل وأيضا التفكير المتفتح . وطبيعى أن يكون اسم صديقه هو باخ ، عازف الكمان الكلاسى ومع ذلك يسكن ذات الحى الفقير مصر القديمة ويسد رمقه بالكاد . عندما كان أحمد عبد الله يكتب لعلاء ولى الدين وشريف عرفة ، كانت الإحالات الأجنبية سهلة ولا حصر

لها ، بحكم شخصية البطل والمخرج معا . كانت الأغانى الأجنبية تملأ شريط الصوت ، والسلوكيات المتحررة تملأ الصورة والكلام ...إلخ . وقد كنت مشفقا للغاية كيف سيجعل أحمد عبد الله من اللمبى بطلا له ، وهو لا يرمز إلا لكل ما سفلى فى المجتمع المصرى . لكن المعادلة نجحت نجاحا باهرا ، طبعا ليس فقط لتواجد الغرب وحضارته من خلال الأسماء . إنما أساسا لأن الشخصية رائعة فى حد ذاتها . ومحمد سعد أداء كوميدى بدنى ومواقفى لا يشبه أحدا ولا يقدر بمال ، ومستوى من تقمص الشخصية الكوميدية لا نراه كل يوم (ربما منذ شاپلن وچيرى ليويس ، لم نره إلا فى چيم كارى) ، والمؤكد أنه يستحق هو وكاتبه كل تذكرة حصداها فى شباك التذاكر .

الفيلم يحتفل بالخمر وبالرقص ، ويجد لهذا حلا ليقدمه بحب وحسية فى مشاهد الأوساط الراقية كما فى مشاهد البسطاء . الفيلم الذى بدأ محلقا مع ' وقف الخلق ' ، يغلق أيضا بسخرية مقذعة أخرى من أم كلثوم (ليست غريبة على أحمد عبد الله صاحب مهزلة -أو قل مذبحة- الشيخ الشعراوى الشهيرة فى مسرحية ألاباندا) . يبدأ العريس اللمبى أغنية فلكلورية جدا عن الديوك والفراخ والكتاكيت ، لنكتشف بعد قليل أنها نفسها أغنية أم كلثوم ' حب إيه ؟ ' . الأغنية أصبحت هنا سوقية جدا ونوعا من الردح الرخيص ، والسبب بسيط جدا : أن الأصل نفسه سوقى جدا ونوع من الردح الرخيص ! (تنبهوا لهذا فى الأيام الأخيرة وأمرت الرقابة بحذف الأغنية من ألبوم الموسيقى ، ما لم يأت أصحاب الفيلم بموافقة أسرتى أم كلثوم وبليغ حمدى . قانونيا ودستوريا هذه محاكاة ساخرة ومن ثم فهى حرية تعبير مطلقة ، وليس من حق أحد التحفظ عليها . أو لعلهم نسوا أيام كان شكوكو يخرج بمحاكاة ساخرة لأم كلثوم فى خلال أسبوع على الأكثر من كل أغنية لها ، وكان له جمهوره الذى لا يقل بحال عن جمهور أم كلثوم ، لكنه جمهور منسى لا صوت له ولا يهتم به أحد من جهابذة النقد والفكر ، ولم يذهبوا قط لأفراحه وأعياد ميلاده ليعرفوا رأيه فى أم كلثوم وطبقة الأصنام برمتها . من نافلة القول أيضا إن حقوق نسخ أغنية محمد سعد ، كما الحال مع كل المحاكات الساخرة ، ترجع فقط لمؤلفيها الجدد ، وليس لأم كلثوم أو أى من جيلها السقيم المهزوم حق الاعتراض على شىء . الأهم من كل الأشياء أن الأغنية لا تنقطع الآن فى آذاننا ونحن نسير فى شوارع مصر ، وهى حقيقة أخرى نهديها لمن لا يزالون يعبدون الأصنام !) . المهم ، كل التهانى لمن أبدعوا الأغنية ، جميعنا نحب أغنيتكم ، تماما كما أحب نجيب محفوظ أحمد عدوية (انظر خاتمة الدراسة الرئيسة أعلاه) . ليس كما يعتقد البعض ، نكاية فى أصنام الناصرية أو آلتها الإعلامية الجهنمية التى جعلت منهم آلهة رغما عنا ، إنما لأن أغنيتكم فى حد ذاتها فن مبدع خلاق واسع الخيال وتقدمى المحتوى ، ولأنها تحمل فعلا روح الاستنساخ الفلكلورى عند الطبقات المتواضعة فى الأفراح والموالد ...إلخ ، للأغانى الشهيرة من الفن الجماهيرى للطبقة الوسطى . عامة يفترض أن المحاكاة الساخرة هى نوع من الحب للأصل ، وإسماعيل ياسين غنى يوما ' حتى شلاضيمى التى ربيتها ' ، لكن رسالتكم وصلت وشكرا ، فهمناها جميعا كما فهمها عبدة الأصنام وفهمتها الرقابة .

أضيف : **لستم وحدكم يا صناع اللمبى ! كلنا فى صبانا كنا ننظر ' لكوكب الشرق ' كمغنية سوقية أغلب الوقت ، رجعية بليدة ومتحجرة طوال الوقت . وكنا بفطرتنا لا نصدق ما تقوله عن الحب وهى نفسها لم تعرفه أبدا . الكل كان يعرف أن أم كلثوم ليست أكثر من مغنية ق . ع . ، قطاع عام يعنى ، مجرد سلعة أخرى من سلع بطاقة التموين الفاسدة منتهية الصلاحية التى كان يوزعها عبد الناصر قسرا على الشعب ، وحتى لو كان**

لديك نقود تكفى لشراء شىء أفضل فليس بوسعك ذلك لأن الزعيم الملهم أمم كل شىء ولم يكن يسمح سوى ببطاقات التموين التى كانت أم كلثوم أشهر وأفسد سلعها على وجه الإطلاق . للأسف هذا لا يزال مستمرا حتى اليوم فى إذاعة حلمى بكر ، أقصد إذاعة بطاقة التموين ، المسماة بإذاعة الأغانى ، مع فارق أن السوق مليئة الآن بالسلع ولا يوجد أحد مضطر لسماع تلك الإذاعة المثيرة للشفقة والتقزز معا . أما فيما يخص الأغنية التى سخرتم منها تحديدا فى الفيلم فقد كنت أنا شخصيا استخدمها فى صباى للسخرية من تلك المغنية البليدة الأحفورة فاسدة الصلاحية المسماة بـــ ' الست ' ، وكنت أدفع قبضتى فى كتف أو صدر من يجبونها قائلا ' أم كلثوم إيه إللى أنت جاى تقول عليه ' ، ولم يكن يهزمنى سوى زميل اسمه محمد عبد النبى يستخدم ألفاظا أدبية رفيعة أفضل منى كأن يقول ' بنت الوســـ.. لغاية ما تقول يا مسهرنى يكون نص الجمهور نام ! ' .

الأسوأ أنه رغم أنها كانت الصنم الوحيد الرسمى بقرار جمهورى ، إلا أن الأمر لم يخل من خلق أصنام أخرى من كل لم يستطيعوا احتواءه كمحمد عبد الوهاب مثلا الذى حاصروه وأفرغوه قدر الإمكان من محتواه الحداثى . حتى الشباب الجيد حى الروح نسبيا كعبد الحليم حافظ ، انتهى به الأمر فى مثل ذلك المناخ الاشتراكى الفقير ، وبعد رحيل رعيل الشعراء العظام من جيل ما قبل يوليو ، انتهى إلى تبنى وفرة من السوقية بالذات فى أغانى محمد حمزة الطويلة الأخيرة له ، ومع ذلك يهوى عبدة الأصنام تصنيمه هو الآخر . هنا أنتم تستحقون تحية مزدوجة لكونكم مبدعين بارعين ولكونكم من محطمى الأصنام ، ففى الواقع مسلسل التصنيم بالأوامر العليا لا يزال مستمرا لأن أولئك الكهنة من نوعية معدومى الموهبة كحلمى بكر لا يتعيشون إلا به . الآن هم يصنمون مثلا كلمات نزار قبانى سواء التى يغنيها أو لا يغنيها كاظم الساهر . علما بأنه لا يوجد فى كل الأدب العربى ما يفوق أفكارها ذكورية وفظاظة وپارانويا ، ناهيك عن أنها بلا استثناء تتحدث عن الحب بلغة إدارة الأزمات أو بلغة أحمد سعيد فى إذاعة صوت العرب ، وتحتشد بكلمات تصلح فقط لمانشيتات الصحف الحزبية السرية أو صحف حزب البعث ، وليس بالمرة للشعر العاطفى الوجدانى . وهى ألفاظ ومصطلحات يتحشاها حتى أصحاب الشعر التحريضى الملتهب أمثال محمود درويش الذى يكتب شعرا حقيقيا بغض النظر عن خطل فحواه (رأينا دوما أن نجاة هى التى ظفرت بالقصيدة أو اثنتين الجيدتين للسيد قبانى ، وكانت بالمناسبة عن مشاعر المرأة وليس مشاعر سى السيد . أم كلثوم وعبد الحليم وفايزة قبلوا من بعد بما هو ' نص لبة ' ، أما المسكين كاظم الساهر فهو يرتع فى القمامة لا أكثر !) .

القومجيون العربجيون (كما تعلم !) أناس مرهفو الحس فهموا وترجموا الهجوم على أم كلثوم على كونه هجوما على عبد الناصر . بصراحة هم محقون تماما ! ما استفز كل المؤسسة الثقافية فى فيلم اللمبى أنه أول هجوم مضاد من الثقافة الجماهيرية يفضح جهلهم وعجزهم ورجعية أفكارهم . هم اعتادوا على أن يهاجموا هم طوال الوقت ، ولا يهاجمهم أحد . الكل يخجلون أمام ' ثقافتهم ' ومزايداتهم . لذا فالهجوم عليهم هو تهديد ' للمؤسسة ' ككل بعطونتها الضاربة وتعيشها من الإرهاب الفكرى لكل الناس ، ويزعزع ' ثوابتها ' (إن اردنا استعمال التعبير الأثير لبشار الأسد) العتيدة التى لا تلين مهما تغير العالم .

هم لم يروا أنفسهم فقط على شاشة اللمبى ، فالأسوأ أن كثيرا من الأمور خارج الشاشة كانت مشخصنة جدا ، والشخصنة هى الشىء الذى يصل لمداركهم المحدودة بأسرع طريق ممكن . نشوى مصطفى عضو -أو نحو ذلك- فى

حزب التجمع اليسارى ، والسخرية المباشرة من الراقصة المثقفة المتحذلقة المنافقة فى التتابع الأخير هى سخرية ليس من المثقفين كمثقفين فقط ، إنما من نشوى مصطفى شخصيا وبالتالى من حزب التجمع نفسه . الأسوأ ما حدث مع عبلة كامل وهى أحد الأركان الكبرى والعريقة فى ذات الحزب المذكور . لأول مرة تضحك وترقص وتغنى وتضع البسمة على شفاه الناس ، بعد أن اعتادوها محجبة متجهمة كئيبة فى بلاهات أسامة أنور عكاشة التليڤزيونية ، وظيفتها أن تقطع الخميرة (من الخمر) من البيت وتجعلك تفكر فى التخلص من حياتك لأنها خميرة (من الخمار) . بالنسبة للتجمع وللناصريين معا ، الذين يعد السيد عكاشة بالأحرى أحد آلهتهم ، فإن ظهور عبلة كامل بهذا الشكل الجماهيرى المحبب هو سرقة واغتصاب لفنانة طالما احتسبوها ضلعا فى معسكرهم الظلامى ، وجريمة لا يمكن أن تغتفر للسيد أحمد عبد الله وشركاه . الأسوأ من هذا وذاك أم كلثوم طبعا ، وحدث ولا حرج فيما تمثل أم كلثوم عند الناصريين . هى أهم بمراحل من عبلة كامل وأسامة أنور عكاشة ، والسخرية منها كفر صريح بالمقدسات . فى رأيهم هى الذراع الأيمن لدعاوى ناصر العربجية ، وهى النصر الوحيد الذى تجسدت فيه تلك الدعوة الشوفينية الهمجية بينما منيت بالخزى والعار فى كل ساحات المعارك الأخرى . كثيرون لا يرون صوتها الأجش جميلا ، وكثيرون (بمن فيهم وفرة من اليسارين كيوسف إدريس مثلا) يرونها سقيمة ومملة . طبعا هى ليست بجمال صوت أسمهان ولا فيروز ، لكن حتى لو كانت أجمل أو أقوى فما الفائدة وقد وظفت لتكريس التخلف والبداءة وموسيقى الطرب وتنويم السلطان مع إيقاظ شهوته ، موسيقى ربع النغمة الوضيعة البائدة ، المسماة الموسيقى العربية ، بينما ما كان يجب لها إلا أن تنقرض وتتلاشى وتحل محلها موسيقات أكثر حداثة . الناصريون لا يقولون هذا طبعا ، وقد مست سخرية اللمبى منها وترا هائل الحساسية فيهم !

لو خرجنا من الشخصنة قليلا لن تجد الأوضاع أقل سوءا . بينما أولئك المثقفون العرب غارقون جميعا فى أجندة المروق ومعاداة العالم المتقدم صهيونيا إمبرياليا استعماريا جلوبيا ، أو أيا ما كان ، فإن حبيبة البطل هى العكس لكل ما يبشرون به ، من ماضوية وانغلاق وبارانويا ومواجهة ' للغزو الثقافى ' . هى فتاة تعانى من قمع والدها الانتهازى الجشع الذى يريد تزويجها من مدرس ثرى . والفيلم اختار لهذا الأب غطاء رأس ياسر عرفات الشهير ، رمزا لجيل القهر والهزيمة والارتزاق ، ربما فى أول استخدام سلبى لهذه الأيقونة المقدسة عربيا وإسلاميا وشيوعيا ، والتى لم يكسر جلالها سوى مرة واحدة فى كاريكاتورات مصطفى حسين أيام أنور السادات ، ولم يكسر فى وسيط فائق الجماهيرية كالسينما أبدا . هى الوحيدة ذات الاسم المصرى نوسة ، وتصفها أغنية فى ألبوم الموسيقى بالفتاة الشعبية المتعلمة الساعية للارتقاء بنفسها إلى آخر الأوصاف التى افتقدناها منذ زهرة ميرامار . نوسة هذه تصالح بطلها وتتزوجه رغم مشاهدتها له فى ليلة حمراء ، ذلك أن الحب أقوى . ويا لها من معانى تحررية طال افتقادنا لها منذ سينما أوائل السبعينيات .

The Movie Ends with A-Lemby's Son Learning English!

وأخيرا تماما ثم اختتام بإحالة أجنبية أخرى لا ترضى مثقفينا كثيرا ، ذلك بعد خمس سنوات من زواج من الواضح أنه سعيد ، وابن أللينبى يتعلم الحروف الإنجليزية (لغة المستعمر) عن أبيه ، هذا الذى يبدو الآن أكثر استعدادا لتجاوز ماضيه الجاهل الوضيع ، فلا تنسى أن الصورة المحورية كما عبرت عنها الدراما وتطور الشخصيات ، وأيضا كل كلمات الأغانى تحررية المعانى ، هو الرغبة فى الارتقاء وحب التحضر والمتحضرين ، والحب كان فقط الدافع الذى حرك عند اللمبى هذه الرغبة (المشكلة الوحيدة أن ذلك التغيير قتل للمبى ، ومن ثم لا يفتح مجالا كبيرا للمبى ٢ ، لكن يظل كل شىء ممكنا مع كاتب بموهبة وخيال أحمد عبد الله) .

إجمالا : إن ما نراه فى حارة اللمبى هو نوع من الجلوبة التصالحية الجميلة التى تستخف جذريا بكل ما يقوله ليلا ونهارا مثقفو وساسة العالم الثالث الفاشلين عن مقاومة الجلوبة والغزو الثقافى ...إلخ . اللمبى بكل وضاعة حالة لا يعدم أيا من الصفات المميزة للجنرال الإنجليزى العظيم إدموند أللينبى ، وحسب الناظر صلاح الدين الناس هم الذين أطلقوا عليه هذا ، وهذه حقيقة واقعة حتى اليوم فى حوارينا من إطلاق أسماء المشاهير الأجانب على المميزين من عموم الشعب ، والأغرب أن بعضهم يصبح مشهورا كلاعبى الكرة مثلا ويظل يحمل الاسم الأجنبى ! والكل يفعل هذا بحب وإعجاب ، ولا يفكر فى الغزو الثقافى أو الدين إلى آخر ما تعج به الصحافة . أمه الفهلوية البخيلة السليطة لكن الفطرية معا ، لا تعدم صفات فرنسا ، التى يرى فيها المثقفون عندنا على الأقل (وإن كنا لسنا منهم) رمزا

للجمال والثقافة والفن ، وتاريخيا إسلاميو حى مصر القديمة -أو المتعصبين الدهماء حسب الجبرتى- هم الذين طردوها من مصر . باخ الأشعث رغم كل إحباطاته وفقره والتخلف الهائل المحيط به ، لا يزال يعزف الموسيقى الكلاسية بحب ، ويكفينا المشهد الكوميدى الذى يحاول بغيظ أن يخرق فيه بعصا الكمان أذن اللمبى الفاسدة . نوسة -أو مصر إذا ما جاز اعتبارها رمزا- حبيسة لقيود الفقر الاجتماعى والتزمت الأخلاقى معا ، لكن روح الحياة لم تمت فيها أبدا . وفى مشهد طريف وصريح تخبر خطيبها أنها هى أيضا عندها شهوة جنسية ، فما كان منه إلا أن تعجب بمرح حيث كان يعتقد أنها خاصية أو حق للرجال فقط ، أو هذا ما أفهمه إياه المجتمع الذكورى . والمهم طبعا أن كل تلك القيم التحررية ، وتحديدا الثلاثة أجانب الأسماء ، هم من كافحوا كى يتحقق حلم الحب لديها ، هذا بنفس القدر الذى لعبت إرادة الحياة عندها ووقفتها الصارمة أمام أبيها الدور الفصل عندما جاءت اللحظة الحاسمة .

أحمد عبد الله ليس أسامة أنور عكاشة ، الذى يكره من هم أرقى منه حضاريا ويشكك فى نواياهم ويجزم بأنهم يتآمرون على الشعب المصرى (بالذات !) أسوأ المؤامرات . ولعل هذا قد يغرينا بأن ننمى نظرية فحواها أن من يؤلف الأفلام المصرية اثنان لا ثالث لهما : أحمد عبد الله وأسامة أنور عكاشة . مدرسة تقول نحن متخلفون حتى آخر تعريف ممكن عرفته البشرية للكلمة ، وإنه لا خروج من التخلف إلا بالتعلم ممن هم أفضل منا وحبهم واحترامهم والاستماع إليهم . ومدرسة تقول إننا كنز الأرض وفردوسها المفقود ، وكل العالم يتهافت على نهبنا و' استهدافنا ' والتآمر علينا . وبينما لا يوجد بعد تلاميذ كثيرون للأول ، فتلاميذ الثانى لا نهاية لهم ، وليسوا فقط من جيله المهزوم ، بل تمت تربية أجيال جديدة ' انتفاضية ' وافرة . فقط -ومع الاقتصار على أفلام هذا الصيف- تأمل حجم البارانويا التى يحفل بها فيلم ' هو فى إيه ' (الشركات العالمية عصابات غامضة تصحو وتنام تحلم بنهب خيرات مصر الوفيرة جدا !) ، أو فيلم ' مافيا ' (الذى يهبط لدرجة أن يساير الفكرة السوقية جدا أن الموساد وراء كل شىء بما فيه المنظمات الإرهابية بكافة مشاربها !) ، أو فيلم هنيدى الجديد ' صاحب صاحبه ' (كارثته مزدوجة كما سنرى) ، أو تأمل حجم الأبوية التى يورث بها جيل الهزيمة أفكاره المقدسة للأجيال الجديدة ، بينما اللمبى لا يصرخ صرخته المكبوتة الشهيرة ' أنا اتخنقت ' قدر ما يصرخ بها لأمه ، بل ولأبيه رغم أن هذا الأخير ميت . وهى صورة بصرية رائعة لأنها ذات الوقت موجعة جدا لمن يفهم ، لجيل يعانى من محاولة فرض الجيل السابق لأجندته عليه من القبر ، بل الواقع كلمة ' اتخنقت ' هى بالضبط أدق لسان حال لكل حالم ونصير للحضارة فى مصر بل وكل العالمين العربى والإسلامى ، اختنق بما يحيط به من تخلف وغثاء . أيضا من المثير للفضول أن كاتب فيلم هنيدى هذه المرة ، هو ماهر عواد وهو من رموز مدرسة الأفلام ' الفنية جدا ' التى قتلت زوجته سعاد حسنى وحاولت قتل شريف عرفة ومئات غيرهما . وطبعا عواد وشركاه هم فى صدارة من وسموا كل نجوم الكوميديا الجدد وعلى رأسهم هنيدى بالطبع ، بالهبوط والسوقية والانحطاط الفكرى . هل تريد دليلا أكثر على انتهازية الشيوعيين وسائر المثقفين أكثر من هذا ؟ أم لعلهم اكتشفوا متأخرا ما قلناه منذ سنوات فى صدر الدراسة الرئيسة أعلاه ، من أن هنيدى وعكاشة وجهان لعملة واحدة ؟ أم لعلنا قصدنا أن عكاشة هو الكاتب المثالى لهنيدى ، وهنيدى هو الممثل المثالى لعكاشة ؟ وما فعله عواد هو خطوة نحو لقاء لا شك أنه كان يستعصى على خيال الجميع حين كتبنا ما كتبنا (طبعا لا أشك أنهم

سوف يسمونه ' لقاء العمالقة ' ، وهو بالأحرى لقاء الأقزام ليس فقط لقصر قامتيهما ، إنما باعتبار أن عواد مجرد بشير ، ومما يحب دوما التبشير به أن بأن الأقزام قادمون .

ما أردنا قوله إن أحمد عبد الله هنا ، تمكن من التوصل للمعادلات التى ربما بدت لوهلة مستحيلة ، لقالب الحكى النمطى القديم له . وهو دخول ولى الدين ابن العز لدنيا الدهماء فى عبود وصلاح الدين وابن عز (تمادى فى هذا الأخير فى ازدراء الطبقات الدنيا فعوقب بقسوة فى شباك التذاكر) . الآن أصبح دخول اللمبى للعوالم العليا ينقل نفس المعانى تقريبا من رفض التخلف ، وهذا خبر سعيد جدا بالنسبة لنا ، لأنه سيفتح آفاق أعمال كثيرة لأحمد عبد الله ، تخرجه من قالب عبود على الحدود .

اللمبى من قاع المجتمع لكن لديه من الذكاء وانبساط الشخصية ما يجعله يفهم بسرعة كيف تسير الأمور فى فنادق شرم الشيخ أو فى منزل الراقصة التونسية (ولاحظ أنه كما أن عبد الله ليس عكاشة ، فإن سعد بدوره ليس هنيدى) . وهو يتأقلم كل مرة مع وظيفته بسرعة وبمرح ، إلى أن يطرد منها لأسباب تخرج عن إرادته (تحديدا الحكومة ، هذه التى يبدو أنها تقف بالمرصاد لحرية التجارة وحرية الفرد معا أو كل على حدة . وحتى لو هذه تلفيقة ما من الفيلم إلا أنها أدت الغرض جيدا !) . إن ذلك العالم الفوقى للأثرياء غير مدان ، وهذه العادة دائما عند أحمد عبد الله ، ذلك إلى العكس بالضبط عند هنيدى وعكاشة . ومثلا الغناء الغربى إما أن ينطلق فى الناظر صلاح الدين (أو أمير الظلام الذى سنتحدث عنه للتو من مدرسة تقدمية أخرى عريقة هى عادل إمام) ، وأشباههما ، بهدف المتعة ولأنها موسيقى جميلة ولأنها تتيح لنا رؤية حسناوات يرقصن عليها ، وإما أن تصاحب هذه الأغانى فى ' هو فى إيه ؟ ' وكل المدرسة العكاشية ، عرضا للأزياء هو ستار للصوص الأجانب الذين ينهبون البلد .

المشكلة -والأمر يستوى فى قالب حكى ولى الدين ابن العز أو قالب حكى سعد ابن الحضيض ، حيث كلاهما يعرف ما هو التقدم ويقف فى صفه- المشكلة كما قلنا فى الهوة بين الكلام والواقع . هنا ينتهى دور الأفلام وتعتبر أدت رسالتها على أكمل وجه ، ويبدأ دور المشاهد الذى عليه أن يفهم من الصورة الإجمالية التى قدمتها ، الفارق بين أن نقول بديماجوجية أننا لسنا ضد العلم ولا التقنية ولا البيزنس ولا التحرر الاجتماعى ، وبين أن كل خلية فينا ترفض هذا بحسم . وأن يدرك أن كل خطابنا الإعلامى والثقافى المعادى لأميركا وإسرائيل أو أيا ما كانت رموز التقدم ، يعادل بالضبط أن نقول ' وقف الخلق ' ، بينما لا نقوى أنفسنا على الوقوف على ساقينا ، أو لا تقوى ذاكرتنا حتى على تذكر بقية العبارة ! وعلى ذكر المؤلف هنا ، من نافلة القول أنه لا يجب بالضرورة أن يكون قد ' نظّر ' لكل شىء حرفيا كما نفعل نحن هنا ، فالإبداع ، بالذات الكوميدى منه ، لا يخضع لتنظيرات مسبقة ، وكثير منه يأتى عفو اللحظة ويفرض نفسه . لكن فى النهاية ها هى إليك حالة كيف يشتغل عقل تحررى مستنير عندما يبدع ، وكيف تتسلل أشياء رائعة إلى أدنى التفاصيل ربما دون تعمد منه . فقط من عقله الباطن إلى الورق مباشرة .

نعم ، أفلام قليلة للغاية (وطبعا نكت قليلة أيضا !) تلك التى أمسكت بما يمكن تسميته المسألة المصرية . نذكر منها ' للحب قصة أخيرة ' ، و' النوم فى العسل ' . **المسألة المصرية : مسألة التخلف ، مسألة تكلس نمط الحياة لسبعة آلاف سنة ، ومن ثم اللواذ بالخرافة وغياب الاستعداد للمصالحة مع حقائق العصر ، والتمنع فى التواضع**

والحب نحو الغير المتقدم ، وفى المحصلة النهائية الكسل والعجز والهزيمة المطلقة جميعا . ' اللمبى ' (مثله مثل ' خللى بالك من زوزو ' اللذان يشتركان معا فى بساطة الظاهر) واحد من هذه الأفلام .

هذا من حيث محتواه التقدمى الراقى ، أما ككل من حيث القيمة الكلية أى المحتوى والإمتاع الفنى معا ، فهو بلا شك (مثل ' زوزو ' أيضا) واحد من أفضل الأفلام المصرية إطلاقا منذ رحيل عز الدين ذو الفقار (ومثل ' زوزو ' أيضا ليس غريبا أن استحق أن يصبح فى حينه ' أنجح فيلم فى تاريخ السينما المصرية ' . وعامة لا يرقى للقب أحسن فيلم منذ رحيل عز الدين ذو الفقار سوى حفنة أفلام محدودة جدا جمعت كل الفضائل معا جماهيرية وفنا ورؤية وفكرا ، ولعل أبرزها جميعا ' ضربة شمس ' لمحمد خان) .

لكل هذه الأسباب وتلك مجتمعة ، كان ' اللمبى ' أحد أخطر التهديدات التى تعرضت لها ' المؤسسة ' فى الحقبة الأخيرة . وبهجومه الساحق المفاجئ وغير المتوقع عليهم فى عقر دارهم ، فضح عطونتهم وشعر المثقفون بأن الأرض تهتز تحت أقدامهم ، وهم الذين طالما تحصنوا بعش الدبابير والعناكب والصراصير المسمى بالثوابت ، فما بالك إذا كان الهجوم بكشاف ضوء قدرته ٢٥ مليون جنيه مصرى !

. . .

وبعد ، وبمناسبة الموقف المخجل للغاية للنقاد من الأفلام الناجحة عامة ومن اللمبى بالذات الذى واجه هجمة شرسة مذرية ، ما كان من محمد سعد إلا أن سفهها بطريقة طريفة وذكية حقا ، عندما قال إنه استقى الخط الدرامى من أرسطو . ولعل الأمر بالفعل يحتاج لمراجعة بعض الأساسيات القديمة ، ومنها مصادر الدهشة فى الأفلام ولن نذكرهم بما يحكونه دوما عن فيلم القطار الصامت الذى فر منه جمهور المشاهدين ، أو عن ' كاركتر ' شارلى شابلن أو ' الطفلة المعجزة ' شيرلى تمبل ، أو أى ' معجزة ' أخرى ألهبت انفعالات الجمهور . هذه الدهشة هى ما تعنيه السينما بالنسبة للناس ، وهى ما يدفعون من أجله النقود ، والقانون التجارى يعطى الحق لمن يدفع النقود فى أن يختار السلعة التى يشاءها .

من هنا قد يطول الكلام ويكفينا فيه إيجازا تكرار ما كتبناه أعلاه على هامش الدراسة الرئيسة لهذه الصفحة عن آليات الفن الجماهيرى : ' **الناقد يجلس فى قاعة العرض ليكتب ما شعر به تجاه الفيلم . هذه ليست وظيفته . وظيفته أن يكتب مشاعر المشاهد فى المقعد المجاور . مشكلة النقاد أنهم يفترضون أن الأفلام تصنع لتعزية هواجسهم هم الذهنية ، بينما الحقيقة أنها تصنع من أجل الناس . فقط دور الناقد التأكد من أنها تناسب المستوى العقلى والوجدانى لهذا العموم من الناس** ' .

نضيف سؤالا جديدا هذه المرة تطرحه هذه الأفلام التى نتكلم عنها اليوم : **لماذا يقبل النقاد من الرسم والباليه والموسيقى أن تكون فنونا تعبيرية ، يحتل المحتوى فيها مكانا ثانويا أو خفيا أو لا وجود له بالمرة ، ويستنكرون ذات الشىء على السينما ؟**

أو بلاش ، إليكم هذا السؤال الأسهل : **أى شىء تغزلتم فيه فى أفلام من تسمونهم بالمهمشين ممن صنعها المتمعون بخاتم الحصانة الأيديولوچى (' ليه يا بنفسج ' مثلا ، حيث الغزل فيه كثير جدا سواء محليا أو من**

الأممية الشيوعية العالمية المسماة بمهرجانات السينما) ، وليس موجودا فى ' اللمبى ' بشكل أرقى وأمتع بل وأكثر فلسفية وتأملا ؟

بلاش دى كمان . سأذكركم بكلمة أخرى أسهل وأسهل من الدراسة الرئيسة إياها : **سينما الكوميديا إللى موش عاجباكم دى ، هى البداية لتأسيس السينما كصناعة لأول مرة فى مصر ، دى إللى كانت طول عمرها سينما هواة (حاشا للسيلليوليد لم أقصدكم أنتم إنما قصدت عز الدين ذو الفقار وكمال الشيخ وبركات وصلاح أبو سيف ، وارجعوا للكلام) . عارف بأفكرككم بيها ليه ؟ علشان أقول لكم موتوا بغيظكم ! السينما المصرية تجاوزت الآن كل هذا وكل السجلات القياسية : إنها اليوم سينما عريقة تضرب بجذورها فى أعماق تاريخ ، عمرها تجاوز الآن الست سنوات !**

[**تحديث : ٧ سبتمبر ٢٠٠٢** : مؤخرا انبرت بعض الأصوات للدفاع عن ' اللمبى ' . بعضهم من الصناعة نفسها ، وبعضهم من الكتاب . السبب هو الملاحقة الرقابية المستفزة لمنع تصدير الفيلم ، وحتى لشريط الموسيقى . للأسف لم نسعد قط بأى من هذا الدفاع . الكل يؤكد على شىء واحد : اللمبى شخصية سلبية ، والفيلم يدينها ! ما هذا الهراء ، باستثناء ' زد ' وأيامه ، لم يحدث قط أدان فيلم شيئا ونجح . هذا كل ما عندى لأقوله !] .

[**تحديث : ١٥ سبتمبر ٢٠٠٢** : اليوم تحدث **محمد هلال** صاحب كلمات أغانى اللمبى فى جريدة اسمها التجمع . الكلام جاء صدى لما قاله بالأمس مؤلف موسيقى **عصام كاريكا** فى ملحق التليڤزيون مع مجلة الأهرام العربى ، وإن تركز معظمه على أغنيتهما معا ' شنكوتى ' . عصام كاريكا تحدث أكثر عن اللمبى . قال صراحة أنه أراد السخرية من أم كلثوم ، وأن أغنيتها ' ردح ' فعلا ! واعترف بذات المعنى الذى توقعناه عاليه أنه لم يفعل سوى أن نقلها عن أحد الأفراح الفلكلورية . أيضا أفاد فى موضوعات شتى منها قوله مثلا إن محاكاة الغرب مطلوبة ، وبدونها لن نصل بفنوننا لمستوى العالمية ، وأن مسألة ما يسمونه الفن الهابط كلها حقد فى غيظ من أعداء النجاح . الشجاعة عملة نادرة هذه الأيام ، من ثم كل التحية لكاريكا ، وإن كنت لا أفهم جدا معنى هذا الاسم ، ولا بأس ، ففى الفن الجماهيرى ليس مطلوبا أن تفهم كل شىء !] .